

الفصل الأول

إذا أعطيت كل ما لديك قد تغير العالم إلى الأفضل

obeikandi.com

تمهيد

خرج أحمد من بيته متعباً مرهقاً، أثقلتته الحياة بأعبائها، لديه زوجة وطفل لم يكمل عامه الأول، ويسكن في ملحق يقع في الدور العلوي لمسكن والديه المكتظ بالأبناء والبنات، مرتبه ينتهي بعد تسلمه بأسبوع، ويعيش بقية الأيام على ما يعطيه له والده، يمضي ليله في السهر مع زملائه، حتى ساعة متأخرة.

ركب سيارته الصغيرة المتهالكة، وغادر منزله في مدينة الرياض هارباً من زحامها وضجيجها، وتوجه إلى مسقط رأسه (الغاط) ينشد السكينة والصفاء، ويزور قريه الحكيم الذي سمع والده يتحدث عنه كثيراً وعن تجاربه الناجحة في الحياة.

في منتصف الطريق تعطلت السيارة، وعادت إلى الرياض محمولة على ظهر سيارة صممت لهذا الغرض، دفع كل ما لديه لصاحب الشاحنة بعد أن فاوضه كثيراً على الأجرة، وعاد هو وسيارته محمولين إلى ورشة إصلاح يعرف صاحبها جيداً.

ركب سيارته في الأسبوع الثاني متوجهاً إلى الغاط مرة ثانية، ووصل في الصباح الباكر، وبحث عن قريه في بيته، ولم يجده، أخبرته زوجته بأنه في المزرعة، طلبت منه الدخول فاعتذر، شكرها واتجه إلى المزرعة الواقعة على ضفة الوادي، دخل المزرعة ليجد قريه منهمكاً في العمل، يساعده عامل من النيبال، قبل رأسه، وناداه بعمه تقديراً

منه لكبر سنه. ترك الشيخ العمل، وغاب بعض الوقت ليعود، وقد استحم وارتدى ملابس نظيفة، وأحضر معه القهوة والتمر، وجلسا على حصيرة متواضعة. أقسم أحمد ألا يأخذ الفنجان من عمه تقديرًا له، وتناول دلة القهوة، وتولى الخدمة.

سأل العم أحمد: كيف أحوالك يا بني؟

- على ما يرام يا عمي.
- أرجو ذلك، لكن أريد الحقيقة، مظهرك لا يدل على ذلك، أرى سحبًا من التعب والحزن في سماء حياتك، أنت تتحدث إلى من عركته الحياة، أمضيت أكثر من خمسة وثلاثين عامًا في العمل، وتعاملت مع الكثير من الناس، وقرأت الكثير، وأستطيع أن أعرف محتوى الرسائل من عناوينها.
- ردّ أحمد، وهو يناول عمه الفنجال: صدقت يا عمي، أنا كما ترى (متعب ومرهق)، تحاصرني الهموم والديون والعمل الممل، وأرغب في المساعدة.
- أفصح، وأنا مستعد لمساعدتك، بشرط أن تكون مستعدًا لذلك، إن كنت تقصد المال فسوف أعطيك، لكن لن يبقى معك طويلاً، وإن كنت تريد أن أدلك على سبل الحصول عليه فلن أبخل عليك بذلك، لكن عليك أن تستمع لي جيداً، وتطبق ما أقوله لك، ولا بد أن تكرر الزيارات، وأن تبقى معي أكثر من يوم في كل زيارة.

- أرحب بتجاربك ونصائحك يا عمي، لكن من دون المساعدة المالية لن ألتفت كثيرًا لما تقوله، المال هو عصب الحياة، وهو السبب الرئيس لمجيئي إلى هنا، وأرجو ألا تغضب من صدقي وصراحتي.
- تبسم العم، وهو يحتسي القهوة العربية، ويأكل من حبات التمر اللذيذة، ناول أحمد حبة تمر تخيرها بعناية، ثم قال: أحب صدقك وصراحتك، لكن علينا أن نتفق أولاً على أمور أساسية:
- هل أنت مستعد لتعيد النظر في بعض أفكارك عن الحياة بشكل عام؟ دعني أكن معك أكثر وضوحًا: هل لديك القدرة على التضحية ببعض متعك المؤقتة من أجل أن تتعلم شيئًا جديدًا يقودك إلى متع دائمة تمنحك حياة جديدة؟
- أصدقك القول لا أفهم كثيرًا مما تقوله، ولن أعدك بعمل شيء لا أعرفه، وقد لا أتمكن من المجيء إلى هنا كل أسبوع، لكن سأحاول أن آتي إلى هنا أكثر من مرة في الشهر، وسوف أحاول جاهدًا مجاراتك، وأرجو ألا تضيق من جهلي وكثرة أسئلتي.
- حسنًا إذن لنبدأ الآن، وعليك أن تفهم أولى الخطوات.

في البداية لا بد أن نلّم بالحقائق الآتية:

الحقيقة الأولى هي أن التغير هو الشيء الثابت في هذه الحياة، وكل من يقاوم التغير إما جاهلاً بسنن الكون، ولم يقرأ التاريخ جيداً، أو مكابراً لا يريد أن يعترف بأهميته، أو مستفيداً من وضع ولا يريد تغييره، لقد عشت كثيراً، ورأيت كيف طال التغير كل مناحي الحياة، وفي هذه الأيام زادت التقنية من سرعة التغير ووقع خطاه،

الخيار لك: إما العيش في الحاضر والتخطيط للمستقبل كأحد قادته المؤثرين، أو البقاء في عالم لم يعد له وجود.

- ولكن يا عمي، لا شيء يحفز على التغيير، الناس من حولي لا تحب التغيير، أكثرهم مشغولون بدم الحاضر والتدمير منه، وكثرة الحديث عن الماضي والتغني به، ولوم غيرهم على ما هم فيه، الإحباط يحاصرني من كل جانب.
- صدقت يا أحمد، الإنسان جُبِلَ على الدعة والقبول بواقعه المريع، بل ويردّد: «الله لا يغير علينا»، والواجب أن يقول: «اللهم، غيّر أحوالنا للأفضل» لن تتحسن أحوالك إلا إذا غيّر من أسلوب حياتك وطريقة استشارك لوقتك، نأخذ من الماضي العبر، لكن لا نعيش فيه.

الحقيقة الثانية هي أن أفضل وسيلة لتطوير الذات هي أن تكون البداية بسيطة متدرجة، ردّد عبارات النجاح لترسخ في عقلك الباطني، ثم ضع أهدافاً صغيرة وكبيرة ترفع من مستوى أدائك، وخطط للوصول لتلك الأهداف، ويكون التطبيق بخطى ثابتة وقصيرة ومستمرة مدى الحياة حتى تصل في يوم ما إلى القمة، وبهذا تغيّر مستقبلك ومستقبل غيرك في هذا العالم.

- كأنك يا عمي، تتحدث عن طلاسّم لا أفهمها، ماذا تعني بالأهداف والتخطيط والوصول إلى القمة؟ هذه مفردات أسمعها لأول مرة.

- معك الحق يا أحمد، وسأحدثك عن كل تساؤلّاتك في زيارتك القادمة.

الحقيقة الثالثة هي أن تبدأ مبكرًا، من المهم أن تبدأ من اليوم، فكم من المشروعات الجميلة والممارسات المفيدة أجلناها حتى تكتمل كل الاستعدادات، ومع الوقت تموت الفكرة، ويحل مكانها أمور أخرى أقل أهمية، أتذكر قول الشاعر:

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مَضِياعٌ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرًا عَائَبَ الْقَدَرَا

- لكن كيف تريدني أن أبدأ، وأنا لا أملك شيئًا، ولا أعرف كيف أبدأ.
- أشكرك، ولولا اعتراضك أحيانًا لما أقول لصار الحديث من جانب واحد، حديث يكتنفه الملل والضجر، صدقني أنت تملك الكثير، وستعرف بعض قدراتك الهائلة في لقاءنا القادمة، ويكفيك أن تعرف مدى قوة ذلك الجبار القابع في رأسك.
- وما فائدة ذلك الجبار القابع في رأسي إن كنت لا أملك المال ولا الجاه ولا المنصب ولا الشهرة؟

خطأنا الكبير هو حين نقيس النجاح بكثرة المال أو الشهرة أو المنصب أو الجاه، فهذه قد تورث، وقد تكون وبالاً على صاحبها ما لم تُستثمر بعقل وحكمة، المال مهم في حياتنا، لكنه لا يجلب السعادة أو النجاح، وهو مهم للقيام بأي نشاط نافع، لكنه يصبح من أهم أسباب الفساد وبيع الذمم إذا لم يكن مقيدًا بضوابط وقيم؛ لذا يجب أن يكون وسيلة لا هدفًا، وكذا المنصب والشهرة والجاه، النجاح الحقيقي الذي سيفضي إلى الصحة والسعادة هو الاستقامة وأداء أفضل ما تستطيع في هذه الحياة بإتقان وبصورة متوازنة مهما كان بسيطًا، مع الاستمرار بالتحسين والتطوير المستمر.

- لو توافر المال لعرفت أين أجد السعادة.
 - التجارب يا أحمد، تثبت أن أكثر من يحصل على المال من غير كد وتعب يصرفه على المتع التي تضره، وقد يصبح أفقر مما كان، قد يشتري متعة كثيرة بالمال، لكنها متع أقعدت الكثير من الناس عن النجاح، السعادة من الأمور التي لا تشتري بالمال.
 - لكنني أكره عملي يا عم، وأجد صعوبة في أدائه.
- وهذه هي الحقيقة الرابعة، وهي أن من يبدع ويسعد في عمله هو من يعمل في مجال يحبه، ومن خلاله يستطيع أن يقدم أفضل ما لديه ليتقنه، ويخدم الآخرين من خلاله، لا أزال أتذكر قول الفيلسوف الفرنسي أوقست كونت: «لكي تحتفظ بالسعادة عليك أن تتقاسمها مع الآخرين» وأنا أعتقد أن هذا صحيح، ويسري على أكثر من مجال، عملك الحالي يا أحمد، ليس سوى محطة إن أتقنته انتقلت إلى عمل تحبه ينقلك إلى عالم أفضل وأجمل.

- أعطني مثلاً حياً على ما تقوله يا عمي.
- لا تتخيل مقدار سعادتي بمجيئك إلى هنا، وإثارتك لمثل هذه الأسئلة، أفضل أوقاتي هي حين أتحدث إلى الشباب، أمتاح من بشر الذكريات؛ لأزودهم ببعض تجاربي وخبراتي، في البداية كنت أظن أن أحداً لن يُعيرها أي اهتمام، لكن اتضح لاحقاً أن الشباب متعطشون للتجارب الناجحة التي يسمعونها

من أصحابها مباشرة، مجيئك أفرحني، وأدخل السعادة إلى قلبي؛ لأنني أحب هذا العمل، وكم تمنيت لو بدأت العمل به منذ وقت طويل، الحياة بنيت على الجهد والبذل والعطاء، ولأوضح لك ما أقوله خذ معلمًا يحب عمله، ويؤمن بأهميته، سيكون من أسعد الناس؛ لأنه يعمل في مجال يحبه، ويستمتع به، ومن خلاله يفيد غيره، ويسعده، والعكس منه معلم متذمر لا يرى في التعليم سوى وظيفة لكسب العيش فقط.

- من الصعوبة أن أقنع نفسي وغيري بما تقوله يا عم.

وهذه هي الحقيقة الخامسة، وهي أن نجاحك أو فشلك، سعادتك أو شقاءك هي نتيجة قناعاتك وأفكارك. الحياة رحلة تمتد من الولادة حتى الوفاة، أعيش أنا في مسائنها، وتعيش أنت في صباحها المشرق، ولكل منا دوره في هذه الرحلة، لقد سرت يا بني، في دروبها الجميلة المحاطة بالخضرة، وسرت في أزقتها المتعرجة المليئة بالمطبات والحفر، أبحرت في مياهها العميقة، وهبت علي العواصف أكثر من مرة، وهللت لرؤية شواطئ الأمان، وليس لكل منا خيار سوى مواصلة السير إلى نهاية الرحلة، أنت في بداية الرحلة ولك الخيار في اختيار الطريق، تستطيع أن تستمتع بما تصادفه من أشجار جميلة ومناظر خلابة، وأن تتقبل الدروب المتعرجة والمطبات فهي جزء لا يتجزأ من الحياة، أو أن تبقى متشائمًا متذمرًا تغضب لأتفه الأسباب، لقد تعلمت أن أرى الجمال في كل ما حولي، أراه في النخلة

الباسقة وفي الطائر يشدو على عسيبها الأخضر، أراه في الشاة ترضع صغيرها وتحنو عليه، أراه في ابتسامة الطفل وإشراقة الصباح وفي لوحة المغيب، حاول يا بني، أن تغير أفكارك ليتغير كل شيء استبدل بثقافة الشاؤم والإحباط ثقافة الفأل والبناء.

- وما دخل أفكاري بالنجاح والسعادة، هذه أمور تفرض علي من الخارج، ليتك تسمع يا عمي، حديثنا اليومي في المقاهي وفي المجالس وفي الاستراحات، كلها ضجر وشكوى من أمور ليس في مقدورنا تغييرها، أنت تعيش في بلدة هادئة وفي وضع مالي جيد، أما أنا فأعاني الأمرين من أشياء كثيرة، في البيت والشارع والعمل.

- أنا لم آت يا أحمد، من كوكب آخر، لدي علم بكل ما تقوله، أنا أولاً أتحدث عن ردود أفعالنا تجاه ما يحصل، فإن اكتفينا بالشكوى فلن نصل إلى نتيجة، علينا أن نبحث عن الحلول لما نعانيه بدل الاكتفاء بنقدها، الحوادث والمصائب والمنغصات جزء من هذه الحياة، وأكثر معاناتنا هي بسبب ردود أفعالنا تجاه الحوادث، وليس من الحوادث نفسها.

- وهل تعتقد يا عم، أن للشباب من أمثالي فرصة في السباحة الآمنة في هذا البحر المتلاطم المليء بالحيتان.

- تناول العم آخر فنجال من القهوة، وقال: أشكرك يا أحمد، ذكرتنني بحقيقة أنه لا حدود للنجاح. أحب عبارة أطلقها

والت ديزني، وأردها على مسامع أبنائي وأحفادي دائماً تقول العبارة: (لو استطعت أن تحلم، لاستطعت أن تحقق حلمك)، فلا تجعل لأحلامك حدوداً، ولا لطموحاتك سقفاً، تجاوز محتك ووظيفتك الصغيرة وقرينتك وأسرتك ومدرستك، ولا تسمح للبيئة والثقافة السائدة أن تأسرك، خلّق عالماً، وسترى النتائج مبهره، يجب أن يكون سؤالك الدائم: لماذا لا أنجح مثلما نجح غيري؟، عليك أن تحتضن أحلامك الكبيرة، وتأخذها معك أينما ذهبت.

- ليتني أستطيع ذلك، كان لي أحلام كثيرة، وتلاشت مع كثرة العوائق والصعاب.

- لديك القدرة على إنجاز الكثير، تستطيع من خلال تغيير الكثير من القناعات أن تغير مسيرة حياتك، فالسعادة والصحة والنجاح والعلاقات المتميزة كلها في متناول يدك، بشرط أن ترغب في ذلك، وتسعى جاهداً لتحقيقها، إن أردت التغيير فالوسائل موجودة، غير أفكارك التي ترسلها لعقلك الباطني يتغير كل شيء، فالعقل الباطني يتحكم في تصرفاتك، وهو في حاجة إلى من يغذيه بالأفكار، ويوظفه بوضع أهداف محددة، وليس أمنيات يتجاوزها الزمن.

أعلم أنك اليوم في عجلة من أمرك، ولم تخطط للبقاء معي، كنت تريد مساعدة عاجلة وعوناً سريعاً، لكن مع الأسف لا يوجد

في هذه الحياة طرق مختصرة للنجاح، سنبقى معاً حتى صلاة الظهر، ثم نتناول الغداء، بعدها سأتركك لتطبق الدرس الأول، تأخير تعلّم الجديد سبب في نسيانه، أريدك أن تبدأ من الآن، وهذا مبلغ من المال يكفيك أياماً عدة:

- أشكرك يا عمي، وأعدك بأن أفكر في كل ما قلته لي، وإن كنت لا أفهم الكثير مما تقوله.

ركب أحمد سيارته، ومعه بعض ما تنتجه مزرعة عمه، ومنها التمر وبعض الخضراوات، لقد أعطاه عمه القليل من المال يسدّ به بعض احتياجاته الضرورية، قال في نفسه: لم أحضر للاستماع إلى كل تلك النصائح، مللت من كثرتها، سمعت الكثير منها مذ كنت في المدرسة الابتدائية، ليته استبدل ببعض هذه النصائح المزيد من المال، لن أعود إلى هنا مرة ثانية.

وصل أحمد إلى بيته، وأنزل ما أحضره معه من المزرعة، قبل رأس أبيه وأمه، وسلّم على زوجته، واحتضن طفله، ثم أخبرهم برحلته إلى الغاط ومقابلة عمه، ولولا تلك الهدايا من المزرعة لما أخبرهم عن الرحلة. فرح الجميع بالهدايا وبذلك الخطوة المباركة من انهم، لكنه أخبرهم بأنه لن يعود إلى عمه مرة ثانية.

سأله والده:

- ما الذي أغضبك منه؟

- لم أغضب منه، كان كريماً معي وعطوفاً علي، لكنه أسمعني الكثير من النصائح التي مللت من سماعها.

- هذا الشيخ يختلف عن غيره يا بني، أعرفه تمام المعرفة مذ كنا صغاراً، هو لا يقول إلا ما يؤمن به، ويطبقه، كان أكثرنا مثابة وتصميماً على النجاح وحرصاً على المعرفة والاطلاع عاش يتيماً، ودخل معترك الحياة مبكراً، لديه طموح بلا حدود؛ لذا تراه سعيداً وناجحاً وفي صحة جيدة على الرغم من سنينه التي جاوزت الستين، خطوتك يا بني، كانت موفقة، وعليك أن تستمع إليه جيداً، وحاول أن تطبق ما يقوله لك بكل جد وحرص، كم تمنيت أن أكون أحد جلسائه، لولا الظروف التي منعتني من مصاحبته.

- صدقت يا والدي، لقد لمست فيه أشياء كثيرة تختلف عما يقوله الآخرون، إنه يربط أقواله بأفعاله، حاول إقناعي بأهمية التغيير، وأن أبدأ منذ اليوم، وطلب مني أن أزوره كثيراً، وألا تتباعد الزيارات.

أخبر أحمد أصدقاءه في جلسة المساء عن رحلته إلى الغاط، وأخبرهم ببعض ما سمعه، قال لهم: سمعت كلاماً مختلفاً عما ألفناه، قال أشياء لا أصدقها، كقوله: نحن نسير خلف أكثرية أضاعت الطريق، ونسير على خطى من سبقنا دون تمحيص أو تفكير، ويعتقد أن للنجاح طرقاً كثيرة غفلنا عنها، فلم نحقق ما نصبو إليه.

- دعك مما يقول هذا الشيخ، إسداء النصائح من أبسط الأمور، لكن الواقع غير ذلك، هؤلاء المنظرون يعيشون في أبراج عاجية، ولا يعلمون ما يعانيه الشباب من عوز وبطالة وضغوط اجتماعية.
- لكنه قال لي كلامًا لا يزال يتردد في أذني: «نحن الذين صنعنا الواقع، ونحن من نستطيع تغييره».
- ردّ أحدهم: لو كنت مكانك لما ذهبت إليه مرة ثانية.
- أنا في صراع: هل أذهب إليه أم لا؟ وهل من فائدة في ذهابي كل تلك المسافات لسماع المزيد من النصائح؟ ولم لا تذهبون معي لسماع بعض ما سمعته؟
- ضحك ناصر، وألقى بورقة اللعب من يده، وكان أكبرهم سنًا وأكثرهم معاناة مع زيادة الوزن وكثرة التدخين، ثم قال: اذهب أنت وحدك لن يذهب معك أحد، ماذا سنجني من رحلة شاقة إلى بلدة نائية ليس فيها سوى الجبال والرمال والشمس اللاهبة.
- صدقت يا ناصر، لن أذهب إلى هناك مرة ثانية.



اجعل كل يوم أفضل من الذي قبله

عاش أحمد في صراع بين ما يقوله والده وما يقوله أصدقائه، هل يعود مرة ثانية إلى عمه، أم يبقى في مكانه الآمن، مرّت أسابيع دون أن يذهب إلى عمّه، لكن رياح التغيير هبت ومن الصعوبة إيقافها.

عاد أحمد إلى مزرعة عمه في الأسبوع الرابع، فوجده جالساً في ظل عريشة عنب تتدلى منها عناقيد العنب ومعه كتاب ودفتر ملاحظات، سلّم عليه وجلس، رحب به العم، وقال له: كدت أفقد الأمل بمجيئك، غاب العم ليحضر القهوة، فانشغل أحمد بتقليب كتاب عمه، وقد كان بعنوان (العادات السبع لستيفن كوفي) عاد العم وهو يحمل القهوة والتمر قائلاً: أتعلم أن كل يوم يمر عليّ في حياتي هو أفضل مما قبله؟ أنام في كل ليلة منتظراً صباح اليوم المقبل بكل أمل وشوق.

- أليست هذه مبالغة؟ كيف يكون ذلك يا عم؟
- ليست مبالغة، لقد جعلت من كل يوم ورشة عمل ومشروعات استثمار، ألا ترى أنني جاوزت الستين من العمر، وأعيش بصحة شاب في الأربعين! يبدو أنك لم تقتنع يا أحمد؛ أقرأ في وجهك علامات التعجب!
- ابتسم أحمد، وقال: هو كذلك، ولكن لم أشأ أن أسترسل وأخالفك الرأي أو أعترض على ما تقوله.

- التجربة خير برهان، وسترى ذلك، حين آخذك في نزهة بين الجبال حتى ننتهي إلى غاري المفضل، سنسير في طريق جميل رسمته المياه منذ آلاف السنين.

يزداد تعجب أحمد، فيبادر عمه قائلاً: وكيف استطعت أن تحتفظ بهذا الشباب المتجدد؟

- هذا كله بفضل الله، ثم بفضل ما استثمرته في الصحة منذ الصغر، وبفضل ما أعمله في الحاضر، وما أخطط له في المستقبل، وجدت أن الوقت أفضل ثروة أستثمرها لكسب مزيد من الخيرات والخبرات.

- كيف السبيل إلى ذلك يا عم؟ الأسئلة تزدحم في فكري، وبدأت آمل في مستقبل مشرق ينضح بالسعادة والنجاح مثلك، لا أصدق أن التقاعد يمكن أن يكون بهذه المتعة وهذا الإنتاج، الكل يعتقد أن التقاعد نهاية المطاف، وسمعت أن المتقاعد يصاب بالكسل والكآبة، وتفترسه الأمراض.

- التخطيط للتقاعد لا يبدأ قبل التقاعد بأشهر أو حتى سنوات، بل يبدأ منذ خطواتك الأولى في الحياة بالمحافظة على الصحة واجتناب ما يهددها من كثرة الطعام والشراب والكسل، المداومة على ممارسة الرياضة جعلتني أحتفظ بالصحة كما ترى، أما المال فقد وفرته بالمحافظة عليه وعدم التبذير والإسراف، توفير المال في شبابي واستثماره كفاني عن الحاجة

للآخرين، (لا تسرف) كلمة يجب أن تكتب بمداد الذهب،
وأعني لا تسرف في أي شيء، وكنت دائماً من المتفائلين، وهذه
الصفة خلصتني من القلق على المستقبل.

- ليتني أستطيع التقاعد يا عم، حتى أستمع بوقتي؟
- ليست المتع في التقاعد فقط، فلا أجمل من الشباب ولا طاقة
كطاقة الشباب، ولا متعة كمتعة الإنجاز.
- ولكن أليست المسألة مسألة حظ يصيب بعض الناس، ويخطئ
بعضهم؟

- يا أحمد، الأمر يختصره قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾
[آل عمران: ١٦٥]، فما يصيبنا من مصيبة فهي من نتائج عاداتنا
وثقافتنا التي تشريناها منذ الصغر وبسبب إهمالنا للتربية التي
تزرع العادات الجميلة، أما ما يأتي من عند الله كالمرض أو
الإعاقة فقد يكون خيراً ورحمة، وقد يكون سبباً في منع ما هو
أعظم، وهنا يكون التفاؤل والصبر ومواصلة العطاء والنجاح.

بعد التقاعد بدأت بأعمال تختلف عن السابق تماماً، وضعت
الأولويات وطبقتها، ألغيت الكثير من ارتباطاتي السابقة التي بلا
فائدة، وركزت على الصحة، وجعلتها متعة وهذفاً، تفرغت أكثر
 للقراءة الناقدة المتأملة، والكتابة الجادة المفيدة، أرسلها إلى المطبوعات
اليومية، بعضها ينشر وبعضها يهمل، عكفت على كتابة مذكراتي،
وأعطي محاضرات لطلبة المدارس والجامعات، أحاول الإحسان

للآخرين، ولو بكلمة أو ابتسامة، أقوم بالتحضير للعمل جيداً ما يجعلني أؤديه بمتعة وثقة، أنظر للشباب وكأنهم أبنائي، وإلى المستمعين وكأنهم إخوتي، لا أحمل حقداً على أحد، مهما أساء إليّ لإيماني أن الحياة مليئة بالحسن وضده، متفائل إلى أبعد حدود التفاؤل، لكنني أحسب لكل شيء حسابه، وأعطي كل عمل ما يستحقه من جهد.

- كيف تكون الحياة متجددة بعد الستين؟
- كنوز الصحة والسعادة والنجاح ليس لها حدود إلا ما تضعه لنفسك، والحكمة لا يعثر عليها إلا من أحبها، واجتهد في البحث عنها، ومع الكثير من التأمل والمقارنة.
- أنت محظوظ، وليس لديك ما لدى الآخرين من مصائب وأمراض.
- مررت بالكثير مما يمر به غيري من يُثمِّ وألم وحرمان، وجربت الفشل مرات كثيرة، لكن كنت أحيّل كل كبوة إلى قفزة في سبيل النجاح وإلى درس يزيدني إصراراً وعزيمة.
- لم أفهم يا عم! كيف لي أن أرى الجانب المشرق في المصائب والصعوبات؟ أليس هذا نظيراً فقط؟
- سأقطف لك عنقود عنب يسد جوعك حتى موعد الغداء، لا شيء كالفاكهة الطازجة قبل الغداء.

وسوف أضرب لك مثلاً يوضح ما أقصد: أجمل أوقاتي وأكثرها غنى يوم كنت أهتم بوالدتي المريضة المقعدة عليها رحمة الله،

كنت في مدينة الخبر تلك المدينة الجميلة الحاملة والمطلة على مياه الخليج، ومن أجلها عدت إلى الغاط لأكون بجانبها أيامًا طويلة وصعبة تعلمت منها الصبر والحكمة، كانت تجربة لن أفايضها بكل تجارب الدنيا، كنت أتأملها وهي قابضة في سريرها تحمد الله، وتشكره على نعمه المتعددة، فأستغرب من جزعي وغضبي لأنفه الأمور، جلوسي بجانبها غير الكثير من قناعاتي وأفكاري، واكتسبت متعة ليست محدودة بسنٍّ ولا بمكان، واستمرت معي تلك الأفكار بعد رحيلها، أجمل العادات هي تلك التي تعطيك ولا تأخذ منك، تزيدك قوة ونشاطًا، وأسوأ العادات هي التي تسرق الوقت والصحة والمال، عادات تتمسك بها على الرغم من أنها تأخذ منا، ولا تعطينا.

- ولكن هل يعقل أن تكون حياتك كلها سعادة؟
- أكذب عليك يا أحمد، لو قلت: إن كل أيامي سعادة وهناء، أصحو أحيانًا، وأنا لست على ما يرام، قد أكون مريضًا أو مهمومًا، فالحياة لا يمكن أن تكون بلا منغصات، وبلا ألم، لكنني أحاول أن أرى الجانب المشرق في كل شيء، وإن لم أجد ميزة واحدة لما يحدث فكرت في ميزة كقولي: هذا درس مستفاد، وأقول لما لا أجد له تفسيرًا: الله في ذلك حكمة، ويمكن التغلب على الملل بمزيد من النشاط والعمل، وأحيانًا الجلوس والتأمل يعيدك شيئًا فشيئًا إلى الصفاء الذهني

والمرح، الشيء الذي لا يختلف عليه اثنان هو أن الحزن والغضب والتشاؤم لا يجعل الحالة أفضل، بل يزيد لها سوءاً، أكتب في كل يوم وخصوصاً في الصباح عدداً من الإيجابيات التي تزيدني صحة ونجاحاً، أو أحقق بها هدفاً، أو أسدي من خلالها جميلاً، أحاول أن أتذكر الإيجابيات الكثيرة في حياتي، وأحاول أن أنسى المنغصات بقدر المستطاع.

- أرجو ألا أكون أثقلت عليك بزيارتي.
- كم أنا سعيد ببقائك معي اليوم وغداً، وأعدك بأن تكون زيارتك ممتعة بشرط أن تنظر لهذه التجربة بإيجابية، وأن تعتقد ذلك، أما إن ظننتها مملة وغير مجدية فهذا ما ستجده، ولن تستفيد منها مهما تكررت، لا بأس أن تذهب الآن لأصدقاء الطفولة، وتجدد العهد معهم، وتجدد نشاطك، وسوف أراك على الغداء، وتذكر سننام مبكرين استعداداً لرحلة الصباح الممتعة.



لا تؤخر البداية واجعلها بسيطة

سئل: ما أفضل وقت لزراعة شجرة؟

أجاب: وقتان: الأول قبل عشرين عاماً، والثاني الآن.

حكيم صيني

- قبل أن أنسى، وقبل أن تذهب إلى أصدقائك أخبرني يا أحمد، هل أنجزت شيئاً مما تحدثنا عنه في لقائنا الأول؟
- لم أنجز الكثير يا عمي، بل كنت متردداً في الحضور إلى هنا.
- لا ألومك، فالتغيير سباحة ضد تيار جارف، لا أعتقد أنك ستبدأ إلا إذا اقتنعت، وخططت وبدأت الخطوة الأولى، قد تنتظر حتى تتحسن الظروف، أو حتى يتوافر الوقت، أو تتحسن الأحوال الجوية، يؤجل الكثير من الناس الرياضة لعدم وجود ملابس رياضية، أو حتى يتوافر المال لشراء جهاز معين، وقد يؤجلون القراءة حتى يؤسسوا مكتبة كبيرة في منازلهم، أو حتى تأتي الإجازة الصيفية، قد يؤجلون العمل التطوعي حتى التقاعد أو حتى يصبحوا من أصحاب الملايين، قد يؤخرون التخلص من الوزن الزائد أو ترك التدخين حتى يأتي رمضان وهكذا، إن تعلمت شيئاً جديداً فحاول أن تبدأ في تطبيقه اليوم، استيقظ كل صباح وأنت تفكر في جعل يومك أفضل من الذي قبله، وستقودك هذه الخطوات البسيطة إلى عالم أفضل وأثرى وأجمل.

- أتدري يا عمي، أن جسمي معك وعقلي مع زملائي في العمل وفي الاستراحة، ماذا سأقول لهم؟ من الصعوبة أن أتركهم حتى لو رغبت في ذلك، لن أستطيع.

- تعجبني صراحتك، ولكن إن أردت التغير فتذكر الحقائق السابقة: (أفكارك التي تسكن عقلك الباطني هي التي تتحكم في أفعالك، غيرَها يتغير كل شيء) تذكر أن التدرّج في الصعود مهم، والإصرار والصبر هما بداية الطريق إلى النجاح. اخرج كل صباح لتستقبل الحياة وأشعة شمس الصباح الحانية، استمع إلى الطيور، وهي تسبح لله في حبور، وهذا الجمال ليس لفئة دون أخرى، وليس لغني دون فقير، بل هو نداء الطبيعة، وهبة الله للجميع.

- لكن تعلم يا عمي، ظروف العمل والأسرة وضيق ذات اليد، كيف أجد الوقت لكل ما تنصحني به؟

- حافظ على الوقت وقيّمه الثمينة، لا تهدره على ما ليس له فائدة، جدّوله بحسب الأهمية، أوجد توازنًا في حياتك بين العمل والمتعة والراحة، وستجد الوقت الكافي لكل نشاط، لو سألت من لا يمارس الرياضة أو القراءة أو أي عادة أخرى مفيدة، عن سبب عزوفه لأجابه بمثل ما أجبتني: (ليس لدي وقت)، مع أن الوقت موجود، والسبب الحقيقي هو عدم جدولة الأولويات وعدم الاقتناع التام بجدوى ما

يطلب منك، أو عدم الإمام بأخطار نتائج تركه، ابدأ ولو بداية بسيطة، وقديماً قيل: «البحر من قطرة، والشجر من بذرة». وقال الشاعر: وأول الغيث قطر ثم ينهمر، الليلة سوف ننام تحت السماء الصافية نطالع ملايين النجوم، ونتفكر في عظمة هذا الكون وخالقه.



الحياة جميلة

عندما يكون التلميذ مستعداً
سيظهر الأستاذ.

حكمة عالمية

أيقظت الطيور بأصواتها الجميلة صاحبيننا بعد أذان الفجر، كان الجو منعشاً والفراش دافئاً، حاول أحمد أن يبقى في فراشه مدة أطول، لكن خوفه من تفويت فرصة صعود الجبل ورؤية الغار جعله ينهض بسرعة، صلباً الفجر، ولبساً ملابس الرياضة، وأعطاه عمه حقيبة يحملها على ظهره فيها الماء وعدة الشاي، وأخذ عمه حقيبة ثانية وضع فيها الفواكه وما يحتاجان إليه من الأكل. أخذ الشيخ عصاه، وأعطى أحمد العصا الثانية.

- ضحك أحمد، وقال لعمه: لست في حاجة للعصا.
- هل جرّبت صعود الجبال من قبل؟ لكل رحلة أدواتها الخاصة، رفضك للعصا منذ البداية كالحكم على الأشياء قبل تمحيصها ودراستها، خذها، وسترى فائدتها فيما بعد.
- سار الاثنان في طرق وعرة متعرجة، يهبطان إلى الوادي حيناً، ويصعدان إلى التلّ أحياناً أخرى، قال العم لأحمد: رحلة الحياة مثل هذه الرحلة سنجتاز أودية وشعاباً وهضاباً وجبالاً، وجمال الرحلة في اختلاف المناظر وتعدد الطرق وكثرة التحديات والقدرة على اجتياز المصاعب.

- يذكرني كلامك يا عمي، باختلاف مشارب الحياة الكثيرة، والاختلافات الجذرية التي أراها بين الزملاء والأصدقاء.
- صدقت، ولذا فمن الحكمة أن نقبل التنوع والتعدد والاختلاف في هذه الحياة، وهذا سرّ من أسرارها، وهو مصدر قوة لمن يحسن استثماره.

انظر إلى مجرى الوادي وهذه الصخور الكبيرة التي تعترض سبيله، لم يتوقف الماء عن الجريان، بل شق طريقه بين الصخور، وهكذا يجب أن يتعامل الشخص الناجح مع التحديات والصعوبات. بدأت أعراض التعب على أحمد، أبطأ العم في خطواته ليعطيه الفرصة ليلتقط أنفاسه، تبسم العم، وهو يقول: أعلم أنك لن تستطيع أن تجاريني في صعود الجبل على الرغم من فارق السنّ بيننا، لقد خططت لذلك، وجعلت مدة الرحلة ساعتين، وفي العادة تكفي ساعة ونصف كي أصل إلى الهدف.

- وهل لدينا هدف يا عمي؟
- لا توجد رحلة ناجحة بلا هدف، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد، لكن هدفنا اليوم هو غار في أعلى الجبل يطل على مزارع الغاط الجميلة.

زلت قدم أحمد، وكاد يسقط لولا وجود العصا التي اتكأ عليها حتى استعاد توازنه، التفت إليه الشيخ، وقال له: ألم أقل لك ستحتاج

إلى العصا، وما الصخرة التي كادت تسقطك أرضاً إلا كصديق سوء
تظنه مخلصاً يصدقك القول، ويحفظ سرّك، ثم تكشف لك الأيام
أنه إما مراوغ كهذه الصخرة، ما إن تضع ثقتك به حتى يغدر بك،
ويحاول جاهداً أن يلقيك أرضاً، وإما أن يصبح كصخرة صماء لا
فائدة من وجودها في حياتك.

- طالت الرحلة، ولم نجد الغار يا عمي، كم أنا متشوق لرؤيته
والجلوس فيه، والتخلص من عناء الصعود.
- لا نزال في منتصف الطريق ولا بأس أن نجلس في ظل هذه
الشجرة، ونشرب الماء، ويتناول كلُّ منا تفاحة تجدد نشاطه.
- ما أجمل هذا المكان هدهوئه وصفاء جوه، وهذا الظل الذي
يغمرنا بالسكينة والمحبة.
- رحم الله من زرع شجرة وسقاها، جمال الأودية والصحاري
في كثرة أشجارها.

علينا أن نواصل المسير قبل أن يدركنا التعب والكسل وحرارة
الشمس، وما هو سوى وقت يسير، ونصبح في قمة الجبل، وبعدها
نسير إلى غارنا الجميل.

- ما أجمل هذه القمم يا عمي، وما أسهل المشي في هذه الأرض
المنبسطة بعد عناء صعود الجبل الواقف بكل شموخ منذ
ملايين السنين، لكن أين الغار؟ لا أرى سوى قمة أمامنا
كظهر جمل.

- هناك خلف تلك القمة اتخذ الغار مكانه.
- لا بد أن هذا هو الغار، فلنستريح في ظله؛ فقد أعياني المشي، وتمكن مني العطش.
- صدقت هذا هو الغار.
- جلس أحمد مع عمه في الغار، وقد صنع كلُّ منهما متكأ من الصخر يستندان إليه.
- لم أتخيل هذه المتعة وهذا الشعور الجميل الذي أشعر به الآن يا عمي، إنه شيء جميل لم أعشه منذ سنوات، كم هو جميل منظر غابات النخيل وتلك البيوت المتناثرة على أطراف الوادي.
- تأخرنا كثيراً يا أحمد، عن مثل هذا اللقاء، كان من الواجب أن نقوم به منذ زمن بعيد، كان الواجب أن نتعلم حب الطبيعة وجمالها من البيت والمدرسة، لا شيء كروعة الطبيعة وحبها واحترامها، والتأمل في أسرارها.
- لكن لماذا اخترت رياضة صعود الجبال، وكيف اهتديت إلى هذا الغار؟
- رياضة صعود الجبال من أمتع أنواع الرياضة وأكثرها فائدة، وقمم الجبال تذكرني برحلة الحياة، فمن وضع القمة هدفاً وصل إليها، واستمتع بمناظرها الجميلة وهوائها العليل، الحياة الناجحة سلسلة من النجاحات الصغيرة والكبيرة، وإذا لم تجد الحياة كذلك فابحث عن السبب، ولا تبحث عنه بعيداً،

فأنا وأنت من خطط لهذه الرحلة ولولا مجيئك ورغبتك في التغيير لما حصل هذا، ولما تمتعت بهذا المنظر الخلاب، معظم أسباب النجاح والفشل تأتي من داخلنا، وإذا أردت الحلول الممكنة فعليك أن تفتش عنها عندك أولاً، ثم فيما حولك، وهذا علم لا نجيده، بل هو دخيل على ثقافتنا، هل سمعت أو قرأت عن مسؤول قال: نحن السبب؟ خذ كرة القدم على سبيل المثال: ماذا يقال بعد كل هزيمة؟ كل الأسباب الممكنة عدا نقد الفريق لنفسه وأدائه، يلام المدرب وقد يُغَيَّر، ويلام الحكم، لكن لم نقل: إن الفريق لم يلعب بروح الفريق، أو إن لياقته ليست على ما يرام، أو إن اللاعبين يفتقرون إلى الحماس، أو إنهم يكثرون السهر ولديهم عادات ضارة، وهكذا في كل ثقافة وسلوك، ما لم نشخص الأسباب الحقيقية التي تحجب الرؤية لن نرى أبعد من مواطن أقدامنا، ولن نتقدم، وقد قيل: «العاقل ينظر إلى مدِّ بصره، والأحمق ينظر إلى موطن قدميه».

- من الصعوبة يا عم، أن أقنع أحد زملائي بصعود الجبل، هذه رياضة لم نتعلمها في البيت ولا في المدرسة، المدارس تلقننا علوماً كثيرة تنتهي بنهاية الاختبار والعبور إلى مرحلة أخرى.
- صدقت يا أحمد، يجب أن تنتقل المدارس من الحفظ والتلقين إلى التطبيق والتجريب والممارسة، ولكن قبل أن نلوم الآخرين دعنا نبدأ بأنفسنا، فالجالس في بيته يريد وظيفة مناسبة،

ويعزو عدم الحصول عليها لسوء الإدارة والفساد والمنافسة غير العادلة من الوافدين، قد يكون في ذلك بعض الصحة، لكن ماذا عن طالب الوظيفة نفسه؟ هل قصّر في شيء؟ هل التحق بالدورات المناسبة؟ هل كان جاداً وصبوراً في عمله الأول أو عمله اللاحق؟ الواجب أن نبحث عن الأسباب التي باستطاعتنا تغييرها والتي قد نكون قصّرنا فيها، خذ مثلاً داء السمّنة، أو مرض السكري، قد نكثر من اللوم والتشكي، لكن ذلك لن يجدي، ابحث عن الأسباب لتعالجها كزيادة الأكل وقلة الحركة، مصيبتنا ثقافة تقول لنا منذ الصغر: «الحظ والقدر والمكتوب»، وهذه تزيح اللوم عنا، وتبعد تأنيب الضمير عن كاهلنا، ولو تدبرت القرآن الكريم لوجدت أن الجزاء على قدر العمل، وأن الله أمرنا بالعمل، حين قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ما أعظم هذه الآيات لو تدبرناها لأصبحت حياتنا عملاً وتغييراً مستمراً، ولأصبح العالم الإسلامي في المقدمة.

- لكن هناك ظروف كثيرة خارج سيطرتنا، ولا يمكن أن نعمل شيئاً حيالها.
- الأعذار وإلقاء اللوم على ظروف خارج سيطرتنا تعطينا إحساساً بالرضا عن أنفسنا، لكنها لا تقدم حلاً عملياً، بل

تصبح تلك الأعذار حججاً يشهرها كل متكاسل لا يرغب في التغيير، ولذا تبقى الأمور على ما هي عليه أو تسوء مع الوقت، أعجب يا بني، من اليابانيين كيف أعادوا بناء بلادهم بعد دمارها في الحرب، وحينما سُئل أحد المفكرين اليابانيين: كيف تتعاملون مع الولايات المتحدة الأمريكية، وتقيمون معها صداقة، وقد دمرت مدنكم في الحرب العالمية الثانية؟ أجاب: الوطن فوق كل اعتبار، ونحن نعمل لمستقبل اليابان، ولما فيه مصلحتها، لقد وجدنا أن أفضل وأول خطوة يجب أن نتخذها بعد الحرب العالمية الثانية هي أن ندرس أسباب ودوافع ما ارتكبناه من أخطاء قبل الحرب وفي أثنائها والعمل على تصحيحها لنضمن البداية الصحيحة، ثم نحقق النتائج المرجوة، أما لوم الآخرين فلا يقدم ولا يؤخر، والبكاء على الماضي يزيد الأمر سوءاً، وتبقى المشكلة دون حل.

الدرس الأول الذي أريدك أن تنطلق منه يا أحمد، هو أن تفكر جيداً في نفسك، وكيف تسير أمورك، النقد والتغذية الراجعة مهمة، ويجب أن يتعلمها الجميع، في البيوت وفي المدارس والجامعات، عليك أن تتقبل النقد بصدر رحب، وأن تبحث عن نقاط القوة لتزيدها، ونقاط الضعف لتتخلص منها، وعلى سبيل المثال: هل تحيد العمل بروح الفريق؟ هل تنصت أكثر مما تتحدث؟ هل تبحث عن حلول إبداعية خلاقة؟

- لكن يا عمي، بعض الناس أكثر حظًا من بعض.
- دعني أكمل: فمع التقدم في السن صرت أنسى أحيانًا، ما أود قوله: تستطيع أن تتدمر كما تشاء، وأن تسب وتشتتم بأعلى صوتك، قد تنسب نجاح الآخرين للحظ، لكن ذلك لن يغير من الواقع شيئًا إلا إذا تغيرت أنت من الداخل، ابحث عن أسباب عدم نجاحك، ثم اعمل على تفاديها، وهذا في متناول يدك، وسوف أحاول أن أساعدك على ذلك. خلقنا الله لنعمل، وننجح، ونعمر الأرض، تحدثت اليوم كثيرًا، والآن جاء دورك لتحدث، وتسال كما تشاء.
- ماذا أقول يا عمي؟ قست علي الحياة، لم أجد من يرشدني إلى الطريق الصحيح، ظننت الحياة عبثًا ومتعة، تركت الدراسة مبكرًا، وبحثت عن وظيفة، جربت التجارة، فخسرت كل ما أملك، والآن أعمل حارسًا في البنك وبراتب لا يكفي أعباء الحياة الكثيرة.



تخلص من قيودك وانطلق

أخطر القيود وأصعبها هي القيود
التي يضعها الإنسان لنفسه،
ويستमित في الدفاع عنها.

المؤلف

شربا الشاي، وأكلا ما أحضراه معهما، ورمى الشيخ بعض بقايا الطعام للطيور الصغيرة التي صارت تحلق قريباً منهما، تحدث أحمد وعاهد الشيخ نفسه ألا يقاطع أحمد على الرغم من عدم إيمانه ببعض ما يقوله، كان أحمد متحفظاً خجولاً، لا يصرح بكل ما يجول في نفسه.

التفت الشيخ إلى أحمد، وقال له: سنناقش كل ما قلته بعد قليل وفي جلسات كثيرة قادمة، وسأضرب لك مثلاً يوضح ما أصبو إليه: لو كان الأمر لك لبقيت هذا الصباح في فراشك حتى هذا الوقت، ولو لم تكن معي لما تجاوزت السفح إلى هذه القمة الجميلة، هناك قيود كثيرة وخطيرة تكبلنا، أكثرها من صنع أنفسنا، حبال وهمية تلتف حول عقولنا، فتشل حركتها، وتتحكم في مستقبلنا، حبال نسجنا خيوطها من ثقافة مثبتة، بعضها نسجها من سبقنا، وسلمها لنا جاهزة للاستخدام، ونداولها حكماً وأقوالاً مأثورة، وقصصاً وقصائد نتغنى بها، وبعض القيود أكملنا نسجها لأنفسنا ولأبنائنا، وبعضها جلبناها من عند غيرنا، وسيتولى من بعدنا إكمال نسج الخيوط، وستزداد القيود غلظة وقوة، ومع مرور الزمن وتعاقب الأجيال تكتسب القداسة ما يعني عدم إخضاعها للنقد والتحليل والمساءلة.

- ألا يمكن أن نتعرف إلى تلك القيود، ونتخلص منها، ونتقدم مثل غيرنا؟

- هي جبال لا تُرى، ولا تترك أثراً على أطراف ضحيتها، لكنها من القوة، بحيث لا تتركه مهما حاول التخلص منها إلا بعد محاولات كثيرة وخروج عن المؤلف، واستخدام مقص النقد والشك والمساءلة، والبحث عن حلول غير تقليدية.

- لكن كيف نعرف من كبلته القيود؟ وهل هذا ينطبق عليّ يا عمي؟

- من السهولة أن تتعرف إلى من كبلته القيود بأدلة وشواهد كثيرة، بدءاً بمظهره وانتهاءً بمخبره، تعرفه من تقوقعه في محيطه لا يغادره، ومن عزوفه عن كل جديد، من تواضع عطائه، ومن تعثر خطواته وبطئها حين يسير في طريق الحياة، تعرفه من علاقته بالآخر ومن جهله بأبسط الأمور، ومن تسليمه المطلق لكل ما يقال دون تمحيص أو مساءلة، يخاف من المجهول، ويؤمن بالخرافة، وينسج حولها القصص، وجواباً عن سؤالك: نعم، لديك قيود كثيرة لا تعلم بوجودها، لكنك سوف تتخلص منها إن شاء الله واحداً بعد الآخر.

أوجد الله قدرات عظيمة في عقلي وعقلك وعقل كل إنسان، قدرات تولد معنا، وحين لا نستخدمها تظل كامنة من غير فائدة،

ومع الزمن ننسى أنها موجودة، نستخدم اليسير منها، أما أغلبها فتبقى مطمورة مهملة حتى تندثر أو تتبخر في الفضاء، أو تذوب كقالب ثلج ترك في صيف صحراء، وعلى سبيل المثال لا الحصر يمتلك الإنسان عشرات البلايين من الخلايا العصبية وفي كل خلية آلاف الشعيرات التي يستطيع كل منها القيام بآلاف العمليات الحسابية، وهذه القدرات الهائلة موجودة عند كل إنسان لا يستخدم منها سوى أقل من عشرة في المئة، ومن الناس من يستخدم هذه القدرات العظيمة للإضرار بنفسه وبأقرب الناس إليه، وقد يستخدمها للهدم وجلب المرض، وإطفاء أنوار الحرية والعيش في ظلام دامس.

- هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها من يتحدث عن هذه القيود، لست أدري لماذا نقبل بها؟

- هذه الحبال هي ثقافتنا، وما تزخر به من عادات ومعتقدات وإرث ثقيل تبرمجنا به في البيت والمدرسة حتى صار من المسلمات التي لا يمكن نقدها أو مجرد التفكير في مدى ملاءمتها للواقع الذي نعيشه، بعض هذه الحبال تحتاج إلى أجيال قد تمتد مئات السنين قبل أن تضعف، ويتم التخلص منها.

أكثرنا يا أحمد، لا يعلم بوجود القيود، ومن يعرفها قد لا يرغب في التخلص منها، إما لأنه يراها عادات وقيماً يعتز بها، أو أنه يخاف المجتمع وسطوته ونفوذه، أكثرنا لديه قدرات معطلة لم يستثمرها، وأكثرنا ليس لديه طموحات أو أهداف يسعى لتحقيقها. وهذه من

أهم أسباب عزوف كثير من الناس عن جعل رحلة الحياة جميلة ومنتجة وممتعة، رحلة بمقدور معظم الناس أن يقوموا بها، لكنها تتطلب الوعي بأساس المشكلة، ثم التزود بمؤن كثيرة من المعرفة والوعي والعزيمة والإصرار والانضباط والمثابرة، ولو كانت رحلة الحياة الناجحة سهلة لقام بها الجميع، ولأصبحت كل شعوب الأرض ناجحة منتجة صحيحة الجسم والعقل، وفي سلام مع النفس، تحيا حياة حرة كريمة.

- لكنني أعرف أن كل ما يصيب الإنسان في هذه الحياة مكتوب ومقدر.

- هذا فهم صحيح شابه الكثير من الخطأ والنقص، فالله تعالى يقول:

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والرسول ﷺ يقول:

«اعقلها، وتوكل»، وهناك فرق كبير بين التوكل والتوكل،

الله منحنا القوة الفكرية والجسدية لنحاول ونعمل، وأمرنا

أن نأخذ بالأسباب، ولهذا كان التفاوت بين الناس في أدائهم

وفي إنتاجهم وفي معيشتهم، ولو كان الاحتجاج بالقدر في كل

شيء صحيحًا لبقى الإنسان في بيته دون بذل المحاولات،

أتدري أن العادات هي التي تتحكم في معظم أقوالنا وأعمالنا

منذ الصباح وحتى وقت النوم؟ الناجحون لديهم عادات

مفيدة ومثمرة وغير الناجحين لديهم عادات سيئة تسهم في

إضاعة الوقت وتدمير الصحة.

- وكيف نجعل رحلة الحياة ناجحة وممتعة يا عمي؟
- نحتاج إلى أسلحة كثيرة، أسلحة لم تنتج في المصانع، لكنها موجودة لدينا أودعها الخالق فينا، من أعظمها وأهمها سلاح العقل والطريقة المثلى لبرمجته واستثماره، والقدرة على التغيير والتجديد، واستبدال عادات بعبادات، وسلاح الوقت وحسن استثماره، والمحاولات المستمرة للتخلص من القيود التي تحول بيننا وبين المغامرات الجميلة في عالم الحياة، فلا نجاح بلا مغامرات مدروسة، في ظنك ما عدد من صعدوا إلى قمة هذا الجبل من أبناء البلدة؟
- لست أدري، لكنني أظنهم قلة.
- صدقت وإن صعدوا فهم يستخدمون سياراتهم على الرغم مما تحدثه من تلوث وهدر للمال وتضييع فرصة الرياضة والمغامرة الجميلة على الرغم من بساطتها.
- سَلِّم النجاح يصنع من درجات كثيرة، يتسلقها الناجح درجة درجة، سَلِّم صنعت درجاته من الصبر والإصرار والابتكار والمثابرة، ونتائجه تستحق المحاولة.
- نخرج إلى الحياة، فنجد أماننا سلام كثيرة، يصعد القلة منا إلى سلام تفضي إلى قمم هواؤها نقي ونسيمها عليل كهذه القمة، قمم مزروعة بالحب والعمل والنجاح، والبعض يهبط في سلام درجاتها تنتهي إلى قفار موحشة ومستنقعات من الفقر والجهل والمرض، وفئة

ثالثة وهي الأغلب تبقى في مكانها قانعة بما لديها رضيت بما يكبل أقدامها من قيود لا تستطيع الفكك منها.

أترى تلك الأغنام في سفح الجبل؟ ستعود إلى حظائرها وهي شبه جائعة لأنها بقيت في السفح، مع قلة المرعى هناك، ولو صعدت إلى أعالي الجبال وإلى الأودية البعيدة غير المطروقة لوجدت المرعى الغني بالأعشاب، وهكذا الحياة.

في الحياة محطات كثيرة نتعلم منها، ويعدّ البيت أهم مصادر المعرفة التي تكسبنا الكثير من العادات التي تبقى معنا مدى الحياة، معظم المحفزات والإحباطات مصدرها المنزل. أما المصدر الثاني فهو المدرسة، وما تحويه من مناهج ومعلمين وأنشطة، وثالثها ثقافة المجتمع وما بها من موروث، ورابعها الإعلام وما يحويه من غث وسمين.

- أخفتني يا عم، من قيود التخلف، وكأنني أراها، وأحسها في معصمي وفي قدمي، كيف أتعرّف إلى القيود التي تكبلني؟

أفضل الحلول لمعرفة قيود التخلف هو المنهج العلمي والفلسفي وما بهما من دقة البحث والعقلانية، والبعد عن الحلول المرتجلة السريعة التي تبدو جميلة براءة، لكن نتائجها وخيمة في أكثر الأحيان. مع الأسف في الدول النامية يعم الجهل، ويوظف التراث لمزيد من القيود، ويساء فهم الدين، فيقود إلى مزيد من العتمة تغشى عقول الرجال والنساء، وحين تجذب العقول تتولى الغرائز توجيه النشاط، وتسهم مصادر الدخل الرخيصة الناضبة في المزيد من

الكسل والتواكل، ويصبح العلم ونتاج العقول شيئاً ثانوياً، وتظل القيود باقية تدمي الأقدام، وتمنع المسير.

- كلامك جميل يا عم، وإن كنت غير مقتنع ببعض ما تقوله، لو كان حظي جيداً لكنت قريباً منك في صغري، لكن مشاغل الحياة أخذت والدي بعيداً عن بيته وعن تربية أبنائه.

- تعجبني يا أحمد، صراحتك، عليك أن تقول رأيك بكل صدق وشجاعة، وعلي أن أقبل ما تقوله برحابة صدر، وأن يكون اختلافنا مصدر نقاش وتفاهم، وليس مصدر خلاف وتنافر.



الفرص لا تطرق الأبواب

إنني لا أعرف حقيقة أكثر
إثارة للحماس من قدرة الإنسان
الأكيدة على الرقي بحياته من
خلال جهوده الواعية.

هنري ديفد ثورو

الحمد لله يا أحمد، أقرأ في تقاسيم وجهك ما يبشر بالخير، لكن قبل أن تنطلق إلى هدفك عليك أن تفكر تفكيرًا مختلفًا، وأن تخضع الكثير من المسلمات للتدقيق والتمحيص والمساءلة، ومنها الحظ ودوره في النجاح والفشل، كثير من الناس يعتقد أن الحظ هو أكثر العوامل تأثيرًا في الحياة، ويورد الكثير من الأمثلة والقصص التي تؤيد ما يعتقد. قد يكون بعضنا أكثر حظًا بوجود والدين أتاحا له فرصًا أكثر للنجاح، لكننا لو دققنا في الأمر لوجدنا أن ذلك الأب أو الأم قد تعبوا وبذلا جهدًا أكثر من غيرهما من الآباء والأمهات في سبيل نجاح أبنائهما، وليس كل من بذل جهدًا في سبيل نجاح أبنائه أخذ بالطريق الصحيح.

- أشكرك يا عم، فقد كنت أضع الكثير من اللوم على والديّ كلما رأيت شابًا ناجحًا، لكنني لا أزال أظن أن للحظ دورًا كبيرًا في نجاح الآخرين.

- من أصدق ما قرأت عن الحظ مثل سنغالي يقول: «الأرزاق حين تنزل من السماء لا توقظ النائمين». الحياة مليئة بالفرص

التي لا تنتهي، لكن قلة من الناس تعرفها ناهيك عن استثمارها، وستبقى تلك الفرص موجودة ما ظل الإنسان موجودًا على هذه البسيطة، هل سمعت شاعرًا يقول: انتهت القصائد الجميلة، أو رسامًا توقفت ريشته عن رسم المناظر المبتكرة والمعبرة، أو موسيقارًا توقفت أنامله عن عزف ألحان جديدة، وهكذا حال كل جميل أو ضده في هذه الحياة.

ومن أجل ما قرأت عن الحظ عبارة مشهورة لسينيك الفيلسوف الروماني يقول فيها: «الحظ هو ما يحدث لحظة التقاء الفرصة باستعداد المرء لتلقفها». نعم، قد تكون محظوظًا لوجودك في مكان أو زمان معينين، أو انتمائك إلى بلد ينعم بالأمن والرخاء، لكن تذكر أن من أهم أسباب النجاح هو ما تبذله من جهد ومثابرة وطموح وصبر.

- اسمح لي أن أخالفك هذه المرة، وأقول: إن من يعانده الحظ لن ينجح مهما عمل من جهد.

- الاختلاف ظاهرة صحية، وهو دليل على اهتمامك بالموضوع، ما تسميه حظًا أسمىه استغلال الفرص، من ينتظر الحظ في بيته أو في المقهى أو الملهى لن يجده، فهو نادرًا ما يذهب إلى تلك الأماكن، لكنه يُوجد بكثرة في الممرات المؤدية لدور العلم والعمل، وقد يصادف على أبواب المتاجر، أو يرى صاعدًا مع دخان المصانع إلى عنان السماء، ولو اقتربت كثيرًا من الحظ لتبينت أنه يحمل في يده اليمنى لوحة كتب عليها «التخطيط

والتركيز والمثابرة والصبر واستثمار الوقت»، وفي يده اليسرى لوحة تقول: «الانضباط والإتقان والتعاون والاستقامة ومساعدة الآخرين» وعلى جبينه عبارة خطت بحروف بارزة تقول: «إن بذلت ما فيه الكفاية فسنلتقي، اجتهد ولا تستعجل النتائج».

- يعجبني هذا التشبيه وهذه الكلمات، لكن لماذا يكرر الناس مفردة الحظ عند سماعهم نجاح أحدهم، هل يعقل أن يكونوا جميعاً على خطأ؟

بعض الناس يجعل الحظ مشجباً يعلق عليه كل نجاحات الآخرين، ويلوم الحظ في إخفاقاته. إن حققت نتائج ممتازة يا أحمد، فهي من توفيق الله ثم جهدك، وإن فاتتك الفرص فالسبب إهمالك وعدم اهتمامك. تصحيح الكثير من معتقداتنا هو الخطوة الأولى نحو النجاح، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. تصحيح المفاهيم سيكون خير عون لك للانطلاق إلى عالم السعادة والحب والنجاح، ثم تذكر أن كثرة المؤمنين بشيء لا يعني بالضرورة صحته.

الناجحون يا أحمد، محظوظون؛ لأنهم عصاميون يعملون بجِدٍّ وصبر، ويتحنون الفرص ويقتنصونها، والناس يتأثرون بمن حولهم، فمن كان والده طبيباً سعى جاهداً ليكون مثله، ومن كان والده ضابطاً أو قاضياً فسيحاول أن يكون كذلك. والمحظوظ هو إنسان لا يؤمن بالفشل، بل يحاول حتى ينجح، وهو الذي يحيل كل

فشل إلى دروس يستفيد منها، الناجح إنسان لوح في طلبه، ولديه
أهداف واضحة، يواصل العمل بصبر وهمة، النجاح لا يأتي بالتمني
أو السير في الدروب السهلة، وهنا أتذكر قول الشاعر:

أَخْلَقَ بِي الصَّبْرُ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ وَمُذِمِّنُ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا

ويقول شوقي:

وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابَا



النجاح قادم

«النجاح سلاالم لا تستطيع أن
ترتقيها ويداك في جييك».

جورج إليوت.

- أنا على مشارف الثلاثين، وحظي من التعليم قليل، وليس لدي مال أستثمره، لقد فاتتني قاطرة النجاح، لكن لا بأس أن أتعلم منك ما يمكن أن أعطيه أبنائي؛ حتى لا تتكرر الأخطاء.
- لا تعتقد أن قاطرة النجاح قد تجاوزتك بسبب السن أو الحالة المادية أو بسبب فشل مشروعاتك التجارية، للنجاح قاطرات كثيرة ومسارات ومحطات متعددة، ولو تتبع سير الناجحين في كل مكان لوجدت أن الفشل كان حليف أكثرهم في البداية، لكنهم لم يياسوا، ولم يستسلموا، تدبر سيرة رسول الله ﷺ وكم بذل من الجهد والتعب والتضحية في سبيل نشر الدعوة، وكم لقي من الصد والطرد والإبعاد، أعوامًا كثيرة قضاهها في مكة لم يستجب له إلا نفر قليل، وهاجر أتباعه إلى الحبشة، وقام ﷺ بزيارة غير موفقة إلى الطائف، ثم هاجر إلى المدينة المنورة، وكم خاض من الحروب، حتى قبض الله له رجالًا ونساءً من المهاجرين والأنصار ساندوه، وناصروه، وآزروه. وهكذا لقي كل مصلح وكل مؤسس وكل عصامي خدم أمته، وأثرى العالم. أكثر كتاب العالم ومفكره رُفض إنتاجهم

في البداية، واستهزئ بهم، ومنهم من عرّض حياته للقتل في سبيل تعرية الجهل وإظهار الحقيقة، لكنهم كانوا مؤمنين بقدراتهم وإمكاناتهم، وأكثر أصحاب المشروعات الناجحة رفضت أفكارهم، وتخلّى عنهم الممولون، ولو حاولت أن أسرد عليك أمثلة للملأ كتاباً بأكمله من نماذج النجاح من الشرق والغرب، ومن كل الأنشطة والتخصصات، وما كتب عن هذا الموضوع أكثر من أن يحصى.

- بدأ شعاع الأمل يتسلل إلى قلبي، وينشر الدفء في تجايفه، لكن أخشى أن قطار النجاح لا ينتظر المتأخرين؟

- كن على ثقة أن فرص النجاح متاحة بإذن الله مع الإصرار والمثابرة والصبر وعدم اليأس، وكما ذكرت لك من قبل خذ ورقة وقلماً، وسجل أهم ما تريد أن تسعى إلى تحسينه، ابدأ بتسجيل الأهم بالنسبة إليك، وهو الصحة، فمن دون الصحة البدنية والنفسية لن تستطيع مساعدة غيرك، بل قد تصبح عائلاً على من تحب، في الطائرة حين يرشدون إلى استخدام الأكسجين في حالة الطوارئ يؤكدون لمن لديه أطفال أن يبدأ بنفسه قبل مساعدة أطفاله، كن قوياً في بدنك وعقلك وقوة للآخرين، تدرج في وضع الأولويات، لكن إياك واليأس أو الاستسلام للمعتقدات البالية التي تحدّ من قدراتك الكبيرة، استثمر وقتك في البيت وفي العمل بما يفيد، قد لا تصيب

النجاح من المرة الأولى، لكنني متأكد أنك ستصيبه حتماً مع تكرار المحاولة، الخطوات البسيطة المستمرة ستقودك إلى النجاح وإلى عالم جديد وأصدقاء جدد وحياة جميلة مختلفة.

- لكن ألا ترى يا عم، أنه يمكن أن أنتقل من الإهمال إلى ضده، وأصبح جاداً أكثر مما يجب، وقد أدمن العمل، وأهمل الأهل والصحة والمجتمع وحقوقه؟

- أحسنت يا أحمد، ذكرتني بأمر مهم، التوازن من أهم شروط النجاح وإعطاء كل نشاط ما يستحقه، فلا العمل يطغى على واجبات المنزل، ولا حب المال يطغى على الاهتمام بالصحة والأسرة، ومع الورقة والقلم لنبدأ بوضع هدف أو أكثر، ولنبدأ منذ اللحظة.

- لقد شوقتني يا عم، لكن أكثر ما أخشاه هو أن أنسى كل ما قلت لي بعد أن أترك هذه القمّة الجميلة، وأغرق بين متطلبات الحياة وتحدياتها وإغراءاتها.

- من الممكن ذلك، وجميل أنك أشرت لهذه العقبة، أنت يا أحمد، تلميذ جيد، علينا أن نبدأ منذ اليوم في رسم الأهداف وكتابتها والسعي لتحقيقها، وسوف تسعد بالنتائج إن شاء الله.



الهدف

اصعد إلى العلياء، اصعد إلى
أبعد نقطة، فهدفك هو في علياء
السماء.

عبارة منقوشة في كلية وليمز

في البداية أريدك يا أحمد، أن تكتب أهم ما أقوله لك، فالنسيان آفة المتعلمين، وتذكر المثل الذي يقول: «الخبر الرديء خير من الذاكرة القوية». والشاعر يقول:

الْعِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ قَيْدُ صُيُودُكَ بِالْحَبَالِ الْوَائِقَةُ

وفي محاضراتي التي أقدمها للطلبة أطلب منهم كتابة أهم النقاط، وأركز على أهمية الهدف، أطرح على الطلبة هذا السؤال: هل وضع أحدكم هدفاً يرغب في تحقيقه؟ ولزيت من التوضيح والإقناع أسرد لهم دراسة قام بها باحثون من جامعة هارفرد عام ١٩٥٣م، حيث تبين من سؤال طلبة الجامعة أن ٣٪ من الطلبة فقط لديهم أهداف محددة ومكتوبة لما يرغبون في تحقيقه، وبعد عشرين عاماً وجد الباحثون أن الـ (٣٪) الذين وضعوا أهدافاً قد حققوا نجاحاً في أعمالهم يفوق الـ (٩٧٪) من زملائهم الآخرين مجتمعين.

- وهل كانت لديك أهداف يا عم، حين كنت صغيراً؟

نعم، وأتذكر أول هدف رسمته في مخيلتي، حين فاجأني صديق سبقني إلى الشركة، كنا نركب دراجاتنا الهوائية ذات صباح في طريقنا

إلى العمل، حين سألني: ماذا تريد أن تكون في هذه الشركة؟ أجبتة: لست أدري. التفت إلي مستغرباً، وقال: كيف تقول ذلك وأنت ترى الفرص أمامك والوافدون يحتلون أهم المناصب؟ عليك أن ترسم هدفاً، ولو كنت مكانك لواصلت تعليمي في المساء، ثم درست في الجامعة تخصصاً يتناسب وقدراتي ومتطلبات الشركة.

بعد ذلك اليوم تغير كل شيء في حياتي، رسمت الهدف وكان محفزاً ودافعاً لي إلى مزيد من العطاء، تلك المحادثة أيقظت في أهمية وجود هدف، وهي المرة الأولى التي أسمع فيها عن الهدف وضرورة وضعه وتحديدده، بعدها صرت إذا أردت أن أنجز شيئاً استعنت بالله، ثم وضعته هدفاً.

حينما ابتعثني الشركة لدراسة المرحلة الجامعية وضعت هدفاً مهماً: وهو أن أخرج في الجامعة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، كان الهدف مكتوباً، عاش معي في كل مكان، كنت أتذكره، وأنا في الفصل، وفي غرفتي وفي أوقات الفراغ، وفي إجازة نهاية الأسبوع. ركزت على المهمة الرئيسة، وأكثر من القراءة، وأمضيت ساعات كثيرة في المكتبة، تحولت إلى إنسان مختلف، كنت أرى يوم التخرج أمامي، وكنت أتخيل راعي الحفل يشد على يدي، وهو يتسم، وهكذا كان بتوفيق الله بعد سنوات، فقد حصلت على مرتبة الشرف الأولى، ولم أكن أفضل زملائي في المرحلة الثانوية، ولم أكن أذكاهم في الجامعة، لكن كنت أكثرهم جهداً ومثابرة واستثماراً للوقت، صرت

أواجه الحياة بعزم يذلل الصعاب، ويصنع المعجزات. رسم الأهداف والسعي لتحقيقها يضيء الطريق، ويصنع الفرق.

- هل تصدق يا عمي، أنني لم أفكر يوماً من الأيام في وضع هدف محدد والسعي إلى تحقيقه بالطريقة التي ذكرتها، فأنا أصحو كل يوم وفي مخيلتي كيف سأتدبر مستلزمات الحاضر فقط، كنت أتحن الفرصة للركون إلى الدعة والراحة، لم يرشدني أحد لما تتحدث عنه. لقد كنت يا عمي، محظوظاً بوجود صديقك الذي نبهك إلى أهمية الهدف، وأيقظ فيك الهمة.

- لم يكن السبب عامل الحظ وحده، هذا الصديق ربما قال الشيء نفسه للعشرات من أمثالي، لكن ما يصنع الفرق هو التنفيذ، فلو قنعت بمرتبتي البسيط في الشركة لما أنجزت ما أنجزته، الحظ يأتي مع استثمار الفرص التي تضعها الحياة أمامك.

تذكر أن من أهم شروط نجاح الهدف أن يكون مكتوباً، وأن يحدد بوقت ونتيجة معلومة، ويكون قابلاً للقياس، ويتطلب جهداً لتحقيقه، ولا يكون صعباً إلى درجة استحالة تحقيقه.

ومن أمثلة الأهداف القابلة للتحقيق، التخصص في حقل معين، والتخرج في الجامعة بدرجة معينة، وترك عادة سيئة كالتدخين خلال مدة محددة، وإنقاص الوزن خلال مدة محددة، وقد يكون من الأهداف المهمة مساعدة قريب أو جار أو صديق كي ينجح أو يجتاز مشكلة تؤرقه، وقد يكون العمل التطوعي في حقل معين، وقد يكون

هناك أكثر من هدف في وقت واحد، وليس رسم الهدف مقصوراً على الشباب فقط، بل لكل الأعمار، وفي كل الأوقات، وعلى الرغم من تقاعدي من الشركة منذ سنوات، إلا أنني أرسم في كل عام وفي كل شهر وكل يوم أهدافاً جديدة تبقيني في حالة من النشاط والتركيز والإنتاج، أكتب في مفكرتي أهدافاً للصحة وأهدافاً للأسرة والمجتمع.

- وهل بقي لديك أهداف وأنت في هذه السن؟
- نعم، ومن أهدافي التي رسمتها أن أساعدك على النجاح واجتياز ما يواجهك من صعوبات، ولولا هذا الهدف وتحديد موعد لإنجازه لما كنت معك في هذا المكان، وهكذا يستمر العطاء ما ظلت قادراً على ذلك. كان من الممكن أن أظل قابعاً في بيتي أقرأ الصحف، وأشاهد التلفاز، لكنني اخترت أن أكون مشاركاً وصانعاً للحدث، لا قارئاً ومشاهداً له فقط، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، لم يطلب مني أحد أن أشارك، لكنني طرقت الأبواب، وحينما لم تفتح طرقها ثانية وثالثة إلى أن فتحت لي، ودخلت.

- وما الفائدة من الهدف إذا كنت أعرف ما سوف أقوم به من أعمال؟
وجود الهدف من أسباب تركيز الجهد لتحقيقه، هل ترى الفرق بين شعاع الليزر الذي يذهب بعيداً وبين ضوء المصباح العادي الذي لا يغادر مكانه، هذا هو الفرق بين التركيز على هدف وبين تشتيت الجهد، فالمغريات التي تسرق الوقت كثيرة. الوقت هو حياتنا يتسرب

منا كالماء من بين أصابعنا، الوقت هو أهم أسلحتنا لتحقيق النجاح، وهو أغلى ثروة لا يمكن أن نحفظ بها.

- أعجبني تشبيهك ومقارنتك بين شعاع الليزر والمصباح العادي، أظني كنت مصباحًا عاديًا.

- لا تيأس يا أحمد، وستُدْهَش من سرعة التغيير، فالهدف قيس يضيء لنا المكان الذي نرغب في الوصول إليه، وكلما كان الهدف كبيرًا وعاليًا، زادت الرغبة في الوصول إليه وتحقيقه، وقد نستصعب الجلوس لدقائق كل أسبوع أو شهر لنكتب هدفًا جديدًا، أو نعيد النظر في هدف قديم، لكن حلاوة الإنجاز تستحق العناء، لا شيء يعدل النجاح في الحياة والتمتع بالصحة والسعادة التي يجلبها حسن التخطيط والمثابرة والصبر والإصرار.

- أنا أتمنى أشياء كثيرة لم تتحقق، ولن تتحقق؟

- تذكر يا أحمد، الفرق بين الأماني والأهداف، فالأماني بلا تاريخ وبلا خطة لتنفيذها وغير قابلة للقياس لذا تبقى أماني، أما الأهداف فتترجم إلى برنامج عمل تحتاج إلى الكثير من الجهد لتحقيقها، وهو ما يميز الأهداف عن غيرها.

لتصبح عظيمًا عليك أن ترسم أهدافًا عظيمة، وتجتهد في سبيل تحقيقها، وتذكر أنك لن تصل إلا لما خططت له من أهداف؛ لذا خطط لأهداف كبيرة وبعيدة، وسأضرب لك مثالًا يوضح ما أعنيه

وعشسته قبل عام، كنت في المزرعة ومعني ثلاثة من الأصدقاء، قررنا أن نصعد هذا الجبل، قال الأول: سأذهب معكم إلى سفح الجبل، ثم أعود إلى البيت، وقال الثاني: سأذهب معكم إلى منتصف الجبل، أما أنا وأحدهم فقد قررنا الذهاب إلى قمة الجبل، وهكذا صار مع كل واحد منا، الأول عاد من السفح، والثاني عاد من منتصف الجبل، أما أنا وصاحبي فواصلنا الصعود إلى قمة الجبل.

ماذا يعني لك المثل السابق يا أحمد؟

- يعني أنه من الصعوبة أن يتجاوز المرء ما يرسمه من أهداف؛ لذا يجب أن ترفع سقف توقعاتك، فتضع هدفاً يستحق عناء الصعود، وليس مهماً أن يكون الصعود سريعاً أو بطيئاً، لكن يجب أن يستمر حتى بلوغ الهدف.

- أحسنت يا أحمد، أنت تتعلم بسرعة عجيبة.

- أستمع إليك جيداً، لكنني أفكر في زملائي في العمل وأصدقائي في الاستراحة؟

- لست مجبراً أن تعيش كما يعيش أقاربك أو أهل قرينك أو زملاؤك في المدرسة أو في العمل، بل يجب أن تصبح قائداً وقادراً وملهماً لهم حتى وإن انتقدوك أو افتقدوك في البداية، فربما تأخذهم معك إلى عالم النجاح والصحة والسعادة، المهم أن تستمر في طريقك إلى الهدف.

- وماذا لو كان الهدف صعباً أو وجدت أنه غير مناسب؟

- ليس عيباً أن تتخلى عن الهدف إلى غيره إذا وجدت أفضل منه، أو وجدت أن الهدف الذي رسمته لا يناسبك، وهدف واحد لا يكفي، فالحياة كلها أهداف، وكلما حققت هدفاً تناول دفتر ملاحظاتك وسجل هدفاً أكبر أو أهدافاً مختلفة وهكذا، وقد قال الشاعر لمن يضع الهدف نصب عينيه، ولا تعوقه عنه العوائق:

إِذَا هَمَّ الْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِباً

احتفل بنجاحك بعد تحقيق كل هدف مهما صغر شأنه، وليكن المرح والمتعة رفيقك في درب النجاح، عليك أن تستعين بالخيال الذي يبقي الحماس، وينقلك إلى عالم جميل ينسجه الخيال.



الخيال

الخيال أهم من المعرفة.

أينشتاين

- أعلم يا أحمد، أنك لم تحضر هذه المرة دفترًا تدوّن به ملاحظاتك، لكن آمل أن تتذكر ذلك في المرات القادمة، وفي هذا المكان المرتفع الجميل سنشرب الشاي، ونحدث عن الخيال.
- لأستطيع متابعة ما تقوله، هل يمكن أن تشرح لي شرحًا موجزًا ما هو الخيال.
- أحسنت يا أحمد، التعريف بالموضوع مهم لفهمه: الخيال هو القدرة على تكوين صورة ذهنية لشيء تتصور حدوثه، وهو لا يوجد في الحاضر، ولم يحدث في الماضي، لكنك تتصوره، وقد تحقق. والخيال بشكل عام هو خلق صورة لم توجد، وما كان لها أن توجد بفضل الحواس وحدها أو العقل وحده، إنما هي كما يقول كوليرج صاحب نظرية الخيال: «صورة تأتي ساعة تسجل الحواس والوجدان والعقل كلاً واحداً في الإنسان. وهذا الخيال وحده هو الذي يميز بين العباقر وغيرهم».

الخيال ينقلنا على جناح السرعة إلى عالم مختلف، وما أعنيه هو أن من يرغب في تحقيق هدف عليه أن يتصور الهدف وقد تحقق، وأن ينتقل بخياله ليحل ضيفاً على موقعه الجديد، فعلى سبيل المثال من رسم هدفاً ليصبح طبيياً فعليه أن يتخيل نفسه يسير بين أسرة المرضى

وممرات المستشفى مرتدياً ملابس الطبيب، أو في عيادته يعالج المرضى، ويواسي جراحهم، ومن يريد أن يصبح رجل أعمال فعليه أن يتخيل نفسه في شركته الخاصة، أو في المطار ذاهباً إلى عاصمة في الشرق أو الغرب، ومن أراد أن يكسب اللياقة، ويفقد الوزن فعليه أن يتصور نفسه، وقد اختفت الشحوم ومعها الأمراض المصاحبة، وإن كان هدفك التفوق في الشهادة فتصور نفسك صاعداً إلى منصة التكريم لأخذ جائزة التفوق من راعي الحفل.

في محاضراتي أعرض على الحضور بعض صور الشخصيات الطموحة التي حققت أهدافها، وأصبحت ملهمة لغيرها، مثل الشيخ سليمان الراجحي، والدكتور أحمد زويل، والوزير علي النعيمي، والدكتور غازي القصيبي. أريدهم أن ينتقلوا بخيالهم إلى أمثال هؤلاء كلٌّ بحسب تخصصه، هؤلاء الناجحون كان لديهم رؤية لما يريدون أن يكونوا، وما يرغبون في تحقيقه، من كان بلا رؤية يسير في الحياة معصوب العينين، ويبحث عمّن يقوده.

- لكن لم أعرف أهمية الخيال في تحقيق الإنجازات؟

- أفلام الخيال تُعدّ من أهم أسباب الفتوحات العلمية الكبيرة، فقصة الفيلم، وما يحفل به من مشاهد تصبح ملهمة لمن يراها، وخصوصاً للطلبة والعلماء والمخترعين، أتذكر جيداً ذات مساء بعيد، حين كنت أشاهد فيلمًا من أفلام الخيال كيف حلّق بي خيالي، وأزاح ستائر القاعة، وطوى جدرانها ليطيّر بي إلى

فضاء المجرات وسكانها، كان الفيلم بقصته الخيالية يستحثني إلى البحث عن المزيد.

- ولكن لم أسمع عن أي دور للخيال في هذه الحياة.
- صدقت يا أحمد، غاب الخيال، فغابت الفتوحات العلمية عن عالمنا، الواجب أن يلهب المعلم الناجح حماس الطلبة، بقصص من الخيال توضح أهمية العلم والطموح وتحقيق الأهداف، في مدارسنا يعامل الطالب كآلة تسجيل، وهذا النوع من التعليم لا يسمن ولا يغني من جوع، لننمي الخيال علينا إطالة التدبر والاستغراق في التفكير، والتجرد من المسلمات، وإزالة تقديس الرموز، ومحاولة التفكير في كليات الأشياء، أي عدم الاكتفاء بطرف منها، الخيال يمكن أن يخلق بنا إلى عالم الإنجاز وتحقيق الطموحات الكبيرة والأهداف.

يقول الشاعر:

كَانَ حُلْمًا فَخَاطَرًا فَاحْتِمَالًا ثُمَّ أَضْحَى حَقِيقَةً لَا خَيَالًا

- وأين يأخذك خيالك يا عمي، هذه الأيام؟
- اليوم يخلق بي خيالي عاليًا لأرى بلادي، وقد أصبحت دولة حديثة الفرد فيها «مواطن» له حقوق وعليه واجبات دولة متقدمة برجالها ونسائها بما فيها من طرق ووسائل مواصلات وحدائق ومدارس وجامعات ومحاكم وحقوق إنسان^(*)، لدي

(*) تتبوأ مركزًا متقدمًا في سلم الشفافية والنزاهة ومحاربة الفساد.

خيال أحاول ترجمته إلى أهداف، ومنها أن أكتب كتبًا ينتفع منها الناس وخصوصًا فئة الشباب، وأن أقوم بمغامرة مرة كل عام أو عامين لأبقي على النشاط وروح التحدي وتوقد الذهن، وأن أستمّر في إعطاء الطلبة محاضرات عن الخيال وأهميته، وأن أوزع نسخًا من كتبي مع كل محاضرة، وأن تعم المحاضرات كل أرجاء المملكة، وربما العالم، الحياة إنجازات ومغامرات جميلة يشعلها الخيال، لكن وضع الهدف وإعمال الخيال لا يكفي، علينا أن نضع الخطط للوصول إلى ما نريد.

- تتحدث يا عمي، وكأنك من كوكب آخر، أما أنا فكل يوم يمر علي يزيدني بعدًا عن تحقيق الطموحات، وكل إخفاق أمرّ به يزيدني يقينًا أنه لا أمل لي في حياة كريمة هائلة، قدرني أن أعيش فقيرًا معدمًا يحاصرني الفشل، وتخفني الديون.

- إياك واليأس والإحباط، كل إنجاز تريد أن تحققه يحتاج منك إلى العمل الدؤوب، لكن قبل أن يدب اليأس إلى نفسك لنبدأ العمل، وعليك أن ترسم الخطط لتحقيق الهدف، وسوف أكون عونًا لك في ذلك.



التخطيط

كل دقيقة تقضيها في التخطيط
توفر لك عشر دقائق في التنفيذ.

برابن تريسي.

- تعجبني صراحتك، ولكن لا تعجبني سرعة استسلامك لغول الفشل، لعلك تتذكر ما قلته لك: عليك أن تضع هدفًا، وأن يكون مكتوبًا، الشيء نفسه ينطبق على الخطوة، لا بد من خطة مكتوبة لتحقيق الهدف، أول معرفتي بوضع الخطط كان في الشركة، يضعون خططًا لكل مهمة، كنا نذهب إلى الصحاري وإلى أعالي البحار، كانت الخطط مفصلة، تأخذ بكل أسباب النجاح، ومنها الخطط البديلة، وكنا نهتم كثيرًا بوسائل السلامة، تفاصيل لا مجال فيها للتخمين أو الاعتماد على الذاكرة، ومع الأسف لم أنقل هذه الطريقة العلمية في التخطيط لأمارسها في حياتي الخاصة إلا في مرحلة متأخرة، فقد كان التخطيط خاصًا بالعمل الرسمي فقط، أما في الحياة الخاصة والعامة فكل الخطط في الذاكرة مع ما يعتريها من نسيان ونواقص وعيوب، الذاكرة يا أحمد، صديق لا يوثق به.
- ألا ترى أننا نؤدي الكثير من الأعمال، وننفذ الكثير من المهام دون خطط مكتوبة، ومع هذا ننجح في أدائها.

النجاح الذي تتحدث عنه هو شيء نسبي، الكثير مما نقوم به يفتقر إلى الدقة والجودة، وضع الخطط لأداء المهام وتحقيق الأهداف مهم جداً، ومن المهم أن تكون الخطة مكتوبة، فما لا يكتب يزول من الذاكرة، كأثر خطوات على رمال الصحراء. كل ما لا يكتب لا يبقى طويلاً، بل يختفي، ويحل محله اهتمام يمحو ما قبله، ومن الأفضل بعد كتابة الخطة أن نضعها في مكان بارز حتى نتذكرها، ونطبق ما فيها.

- لست مقتنعاً بوضع الخطط في كل يوم من حياتي.
- صدقت ليس في كل يوم، لكن حين يكون جدولك اليومي مزدحماً، عندها ستحتاج إلى وضع الخطط والأولويات، سوف أضرب لك مثلاً عن أهمية وضع الخطط من واقع حياتنا اليومية، مثال ذلك التخطيط لنهاية الأسبوع، كوضع خطة مكتوبة لما ترغب القيام به وإنجازه في الإجازة، كإصلاح عطل في المنزل أو السيارة، وزيارة قريب أو مريض، وممارسة رياضة أو قراءة كتاب، وستلاحظ كم من الأمور تنجزها حين تضع الخطة مقارنة بمدة مماثلة ليس فيها تخطيط لما ترغب في إنجازه.

الخطة تعني: كيف نستثمر الوقت؟ وما أكثر الأمور أهمية وفائدة لشغل وقت الفراغ؟ كيف نستثمر ما هو موجود لتحقيق الهدف؟ وضع الخطة يعينك على الإنجاز والتفوق.

الخطة بكل بساطة توضح كيف نستثمر الإمكانيات المتاحة لأقصى فائدة، دون أن نهمل المتطلبات الضرورية الأخرى، وأن نعطي

لكل نشاط حقه، فوقت للعمل ووقت للمتعة ووقت للأسرة ووقت للراحة، الناجحون يشتركون في حسن استثمار الوقت. يقول الحسن البصري: «يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك».

إذا كنت لا تجيد وضع خطة فاطلب العون، قد يأتي العون من الوالد أو الوالدة، وقد يأتي من معلم في المدرسة، وقد تلتحق بدورة في مجال التخطيط أو في تطوير الذات، ومنها تنطلق، استقد مما تحويه الشبكة العنكبوتية، من معلومات هائلة ونصائح مجانية، اجعل وقتك أمام الشبكة العنكبوتية مفيداً، ولا تبحث عن الغشاء، أو ما يثير الغرائز، أو يشجع على العنف، فليس هذا هو الطريق للنجاح، طلب العون مهم فلا تتردد، الكثير من الناس يحتاج للمساعدة، لكنهم لا يطلبونها، عليك أن تطلبها أولاً، وقد تكون في المستقبل رئيس فريق عمل لمجموعة من الزملاء أو الأصدقاء، لا شيء كتلاحق الأفكار وقضاء الوقت فيما يفيد.

- أضحكنتي يا عم: رئيس فريق عمل دفعة واحدة!
- لا تستهنْ بقدراتك يا أحمد، عليك أن تستثمر الوقت؛ لأنه سيمضي شئ أم أبيت، لكن يمكن أن تتحكم في طريقة استثمارك له، وصرفه فيما يعود عليك بالفائدة، فليست تضيعة الوقت في المقهى كتمضيته في المكتبة، وليس تزججه بالدوران بالسيارة في الشوارع كالترىض في الحدائق، وليس تقليب صفحات كتاب أحد عمالقة الفكر كالجلوس مع أناس

تجترُّ أحاديث عفا عليها الزمن، أعتقد أن من أهم واجبات المدارس والجامعات تعليم الطلبة وتوعيدهم حسن استثمار الوقت واحترامه.

التخطيط يجب أن يكون توازنًا عجيبًا بين العمل والمتع، وممارسة الهوايات والراحة، التخطيط هو أن تعطي كل نشاط ما يستحقه من جهد، التخطيط هو أن تكون منتجًا مستمتعًا بالحياة، وإذا رأيت إنسانًا ناجحًا فاعلم أنه يستثمر وقته استثمارًا جيدًا، وإن رأيت غير ذلك فاعلم أنه أضاع وقته في الكسل أو في أمور ثانوية.

أطلت عليك كثيرًا في هذا اليوم، والوقت يشير إلى منتصف النهار لعلنا نكتفي بما تحدثنا عنه، ونعود أدرأجنا إلى البيت، وبعد الغداء أتركك تذهب إلى أهلك، وتؤدي ما عليك من التزامات، لكن عليك أن تفكر جيدًا فيما حدثتكَ عنه، وأن تبدأ منذ اليوم بالتفكير في مستقبلك على جميع المستويات.

- أشكركَ كثيرًا، وأعدك أن ترى شخصًا مختلفًا في زيارتي القادمة.

